بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

معانى الكلمات :

أولياء : أعوانا وأحباء .

ابتغاء : طلبا .

يثقفوكم : يظفروا بكم .

يبسطوا إليكم : يمدوا إليكم .

أسوة : قدوة .

برآء : أبرياء .

أنبنا : رجعنا .

فتنة : مفتونين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر حرمة موالاة الكافرين بالنصرة والمودة دون المسلمين .

٢ ـ أن نعلم شدة العداوة من الكافرين للمؤمنين .

٣ ـ أن نتعرف على طريق الأنبياء والمؤمنين .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحى ، نداء من ربهم الذى آمنوا به ، يدعوهم باسم الإيمان الذى ينسبهم إليه، يدعوهم ليبصرهم بحقائق موقفهم ، ويحذرهم حبائل أعدائهم ، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم ، وفى مودة يجعل عدوهم عدوه وعدوه عدوهم ، فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه ، يعاديهم من يعاديه ، فهم رجاله المنتسبون إليه الذين يحملون شارته فى هذه الأرض ، وهم أولياؤه وأحباؤه ، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه .

ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم ، وعدوانهم على هذا كله فى تجنٍ وظلم ، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة ؟ كفروا بالحق وأخرجوا الرسول والمؤمنين ، لا لشىء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم ؟

ويبرز القضية التى عليها الخلاف والخصومة والحرب ، فهى قضية العقيدة دون سواها ، قضية الحق الذى كفروا به والرسول الذى أخرجوه ، والإيمان الذى من أجله أخرجوهم ، وإذا تمحضت القضية هكذا وبرزت ، ذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهاداً فى سبيله ، فما يجتمع فى قلب أن يهاجر جهاداً فى سبيل الله ابتغاء مرضات الله مع مودة لمن أخرجه من أجل إيمانه بالله ، وهو عدو الله وعدو رسوله .

ثم يحذرهم تحذيراً خفيا مما تكن قلوبهم ، وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة ، وهو مطلع على خفية القلوب وعلانيتها ، ثم يهددهم تهديداً مخيفا ، يثير فى القلب المؤمن الوجل والمخافة ، وهل يخيفه شىء أكبر من أن يضل سواء السبيل بعد الهداية والوصول ؟ ! وهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد ، ثم تجىء البقية ؛ فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل ، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدى وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل ، والأشد من هذا يودون أن يخسر المؤمن كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر .

ويمضى السياق فيعالج مشاعر القرابة ووشائجها المتأصلة ، والتى تشتجر فى القلوب فتجرها جرًا إلى المودة وتنسيها تكاليف التميز بالعقيدة ، فالمؤمن يعمل ويرجو الآخرة ، يزرع هنا وينتظر الحصاد هناك ، فلمسة قلبه بما يكون فى الآخرة من تقاطيع وشائج القربى ، كلها إذا انقطعت وشيجة العقيدة ، من شأنها أن تهون عنده شأن هذه الوشائج فى فترة الحياة الدنيا القصيرة ، وتوجهه إلى طلب الوشيجة الدائمة التى لا تنقطع فى دنيا ولا فى آخرة ، ومن ثم يقول لهم : قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءًا ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ، ذلك أن يوم القيامة يتم إثابة المؤمنين ومعاقبة العاصين ، والله مطلع على العمل الظاهر والنية وراءه فى الضمير .

ويمضى السياق فيصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة : أمة التوحيد ، وهذه القافلة الواحدة ، قافلة الإيمان ، فإذا هى ممتدة فى الزمان متميزة الإيمان ، متبرئة من كل ما ينافى العقيدة ، إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم ، وفيه أسوة لا فى العقيدة وحدها بل كذلك فى السيرة ، وفى التجارب التى عاناها مع عاطفة القرابة ، ثم خلص منها هو ومن آمن معه ، وتجرد لعقيدته وحدها ، وينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، وماض طويل ، وأسوة ممتدة على آماد الزمان ، فيشعر أن له رصيداً من التجارب أكبر من رصيده الشخصى وأكبر من رصيد جيله الذى يعيش فيه ، فهؤلاء المؤمنون الواقفون تحت راية الله ، قد مروا بمثل ما يمر به ، فليس الأمر جديداً ولا مبتدعا ولا تكليفا يشق على المؤمنين ، وله أمة طويلة عريضة يلتقى معها فى العقيدة ويرجع إليها إذا نبتت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته .

مر إبراهيم والذين معه بالتجربة التى يعانيها المسلمون المهاجرون ، وفيهم أسوة حسنة ؛ من مباينة الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم إلا فى قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك ، فإنه لا أسوة لكم فيه فى ذلك ، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ، فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه ، فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله تبرؤوا من أعداء الله المشركين به ، ولا تتخذوا منهم أولياء ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء ، حتى يؤمنوابالله وحده ويتبرؤوا من عبادة ما سواه .

ولقد كان بعض المسلمين يجد فى استغفار إبراهيم لأبيه المشرك ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوى قرباهم من المشركين ، فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقفه ﷺ : فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك ، وهو يرجو إيمانه ويتوقعه ، وإبراهيم ﷺ فوض الأمر كله لله ، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال ، وهذا التسليم المطلق لله ، هو السمة الإيمانية الواضحة فى إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين .

ويستطرد لهذا فى إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه ؛ إذ يقولون : لو كان الإيمان يحمى أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم ، وهى الشبهة التى كثيراً ما تحيك فى الصدور ، حين يتمكن الباطل من الحق ، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان ـ لحكمة يعلمها الله فى فترة من الفترات ، والمؤمن يصبر للابتلاء ، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذى يجعله فتنة وشبهة تحيك فى الصدور .

ويأتى طلب المغفرة إدراكا منه لمستوى العبادة التى يستحقها منه ربه ، وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذى يكافئ به نعم الله وآلاءه ، ويمجد جلاله وكبرياءه فيطلب المغفرة من ربه ؛ ليكون فى شعوره وفى طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتى بعده ، ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره ، فيصف ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء ، فهو القادر على الفعل ، الحكيم فيما يمضى من تدبير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ على المؤمنين ألا تبقى فى قلوبهم مودة للمشركين الذين يعتدون عليهم ويحاربونهم وينقضون عهدهم .

٢ ـ لا ينفع الإنسان يوم القيامة إلا عمله الصالح ، أما الأقارب والأصدقاء والأموال فلن ينفعوه بشىء .

٣ ـ أمة التوحيد أمة واحدة ممتدة فى الزمان ، على المؤمنين أن يقتدوا بها فى طريق حياتهم .

الجزء الثامن والعشرون — سورة الممتحنة — الحزب ٥٥

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
(٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)

٥٥٠

معانى الكلمات :

مودة : محبة وألفة .

تبروهم : تحسنوا إليهم وتكرموهم .

تقسطوا إليهم : تعدلوا معهم .

أن تولوهم : تتخذوهم أولياء .

أجورهن : مهورهن .

بعصم الكوافر : بعقود نكاح المشركات .

فاتكم شىء : انفلت أحد بردة .

فعاقبتم : فغزوتم فغنمتم منهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف حكم الموالاة الممنوعة والمباحة فى الإسلام .

٢ ـ أن نتعلم قواعد معاملة المؤمنات اللاتى يهاجرن من دار الكفر إلى دار الإيمان .

٣ ـ أن نعلم أن العقيدة هى الراية الوحيدة التى يقف تحتها المسلمون .

المحتوى التربوى :

فى نهاية العرض لموقف إبراهيم والذين معه ، وفى استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها ، مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين ، فالأسوة فى إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، هؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التى عاناها هذا الرهط الكريم ، ويجدون فيها أسوة تتبع ، وسابقه تهدى ، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة ،و أما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج ، من يريد أن يحيد عن طريق القافلة ، فما بالله من حاجة إليه سبحانه ، فهو الغنى الحميد .

ويقرر السياق أن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين ، وليس

هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب فى الخصومة ولا متطوع بها كذلك ، وهو حتى فى حالة الخصومة يستبقى أسباب الود فى النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة ، انتظاراً لليوم الذى يقتنع فيه خصومه بأن الخير فى أن ينضووا تحت لوائه الرفيع ، ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذى تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

وفى الآية الأولى إشارة إلى هذا الرجاء الذى لا يغلب عليه اليأس ، فى معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين ، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشيرة ، وهذا الرجاء معناه القطع بتحققه ، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة ، وأن أسلمت قريش ، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد ، كأن طويت الثارات وعاد الجميع إخوة مؤتلفى القلوب ؛ والله يفعل ما يريد بلا معقب ، ويغفر ما سلف من الشرك والذنوب .

وإلى أن يتحقق وعد الله الذى دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم فى موادة من لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ، ورفع عنهم الحرج فى أن يبروهم ، وأن يتحروا العدل فى معاملاتهم معهم فلا يبخسوا من حقوقهم شيئا ، ولكنه نهى أشد النهى عن الولاء لمن قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم ، وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون ، وتلك القاعدة فى معاملة غير المسلمين هى أعدل القواعد التى تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية بل نظرته الكلية لهذا الوجود ، الصادر عن إله واحد المتجه إلى إله واحد ، وهى أساس شريعته الدولية ، التى تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعا هى الحالة الثابتة ، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده ، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة ، أو الوقوف بالقوة فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد .

يقول صاحب الأساس : « قال ابن كثير : إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وماتوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ، فمواطنون من غير المسلمين إذا لم يدخلوا فى صراع معنا أو قتال وإذا لم يبذلوا جهداً من أجل إخراجنا من بلادنا فهؤلاء يجوز البر لهم والعدل فيهم ، أما الولاء لهم فلا ، وأعظم مظاهر الولاء فى عصرنا الدخول معهم فى حزب واحد ، يعطيهم المسلم من خلاله الولاء ويحجبه عن المسلمين ، وأما الذين يريدون استئصال ديننا وفتنتا عنه فهؤلاء لا ولاء لهم بل عداء ، لأن الفتنة أكبر من القتل ،ومن ثَمَّ فالعمل الإسلامى المعاصر يجب أن يحدد علاقته ومواقفه من هؤلاء وأولئك » .

وهذه هى القاعدة التى تتفق مع التصور الإسلامى الذى يجعل القضية بين المؤمنين ومخالفيهم هى قضية هذه العقيدة دون غيرها ، ويجعل القيمة التى يضن بها المؤمن ويقاتل دونها هى قضية العقيدة وحدها ، فليس بينهم وبين الناس ما يتخاصمون عليه ، ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد ، وتحقيق منهج الله فى الأرض وإعلاء كلمة الله ، فالعقيدة هى الراية

الوحيدة التى يقف تحتها المسلمون ، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم ، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم ، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل بينهم وبين سماعها، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه .

ولما كان الرسول ﷺ والمسلمون معه بأسفل الحديبية ، جاءته نساء مؤمنات يطلبن الهجرة والانضمام إلى دار الإسلام فى المدينة ، أو جاءت قريش تطلب ردهن تنفيذًا للمعاهدة ، ونزلت أحكام هذه الحالة الدولية ، تنظم التعامل فيها على أعدل قاعدة تتحرى العدل فى ذاته دون تأثر بسلوك الفريق الآخر ، وأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحرى سبب الهجرة ، فلا يكون تخلصا من زواج مكروه ، ولا طلبا لمنفعة ، ولا جريا وراء حب فردى فى دار الإسلام ، وهذا الامتحان كان يعتمد على ظاهر حالهن ، وإقرارهن مع الحلف بالله ، فأما خفايا الصدور فأمرها إلى الله ، لا سبيل للبشر إليها ، فإذا ما أقررن هكذا فلا تردوهنَّ إلى الكفار ؛لانقطاع النكاح بينهن .

قال ابن كثير : « وهذه الآية هى التى حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً فى ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة .

ويقرر السياق إعطاء المشركين الذين جاءت نساؤهم مؤمنات ، ولم يرجعهن إليهم ـ ما أنفقوا فى نكاحهم إياهن من الصداق ، وإذا أعطيتموهن أصدقتهن فأنكحوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك ، ثم أشار إلى أنه كما بطل نكاح المؤمنة على الكافر ، بطل نكاح الكافرة على المسلم ، ولا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن ، واطلبوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتى لحقن بهم من الصداق ، مَنْ تزوجن منهم ، وليسألكم المشركون منهم ، الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات ، إذا تروجن فيكم ، مَنْ تزوجها منهم ، ما أنفقوا عليهن من الصداق ، وهذا الحكم الذى حكم به من أمر المؤمنين بمسألة المشركين ما أنفقوا وأمر المشركين بمثل ذلك ، حكم الله الذى لا يعدل عنه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ حالة السلم بين المسلم والناس جميعا هى الحالة الثابتة ، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده أو خوف الخيانة بعد المعاهدة أو الوقوف بالقوة فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد .

٢ ـ لا يحل للمؤمنة أن تتزوج بكافر أو مشرك ، ولا للمؤمن أن يتزوج بكافرة أو مشركة .

٣ ـ للنساء مثلما للرجال من حقوق ، وعليهن مثلما على الرجال من واجبات ، فالشريعة الإسلامية لم تفرق بينهما فى شىء إلا بما تقتضيه طبيعة كل منهما ورسالته فى الحياة .

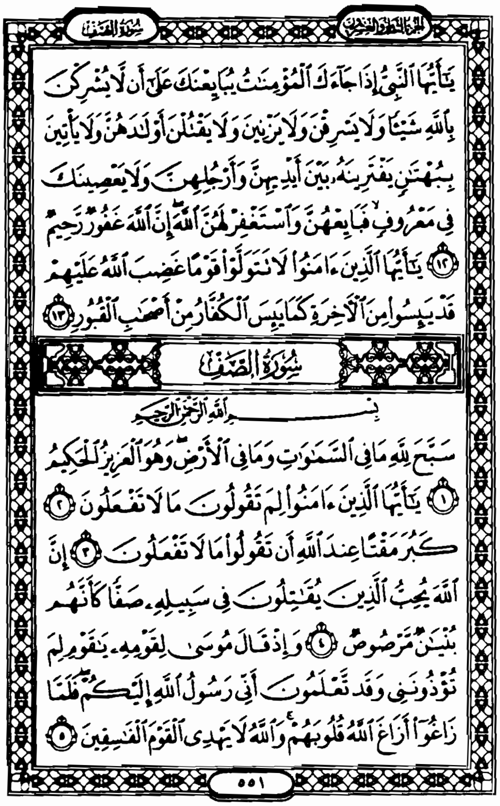
الجزء الثامن والعشرون — سورة الصف

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٥٥١

معانى الكلمات :

ببهتان : بإلصاق اللقطاء بالأزواج .

يفترينه : يختلقنه .

لا تتولوا : لا تتخذوا أولياء .

كبر مقتا : عظم بغضا بالغ الغاية .

صفا : صافين أنفسهم أو مصفوفين .

بنيان مرصوص : متلاصق محكم لا فرجة فيه .

زاغوا : مالوا باختيارهم عن الحق .

أزاغ الله قلوبهم : حرمهم التوفيق لاتباع الحق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على حكم مبايعة النساء للرسول ﷺ، وشروط هذه البيعة .

٢ ـ أن نستشعر تمجيد الكون كله لله ـ تعالى ـ وكبر التناقض بين القول والفعل .

٣ ـ أن نعلم بعض المراحل التى مر بها منهج الله للبشرية حتى وصل إلى صورته الأخيرة ، وهى رسالة الإسلام التى جاء بها محمد ﷺ .

المحتوى التربوى :

بيّن الرسول الله ﷺ كيف يبايعهن على الإيمان ، هن وغيرهن ممن يردن الدخول فى الإسلام ، وعلى أى الأسس يبايعهن ، وهذه الأسس هى المقومات الكبرى للعقيدة ، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة ، إنها عدم الشرك بالله إطلاقا ، وعدم إتيان الحدود ، السرقة والزنا ، وعدم قتل الأولاد ، إشارة إلى ما كان يجرى فى الجاهلية من وأد البنات ، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب وهن أمينات على ما فى بطونهن ، ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن ، والشرط الأخير يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ فى كل ما يأمرهن به،وهو لا يأمر إلا بمعروف،

ولكن هذا الشرط ، هو أحد قواعد الدستور فى الإسلام ، وهو يقرر أن لا طاعة مطلقة لولى الأمر فى كل أمر ، وهى القاعدة التى تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله ، فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قبلت بيعتهن ، واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف ، والله يغفر ويرحم ويقيل العثرات .

وفى الختام يجىء الهتاف للذين آمنوا باسم الإيمان ، وبالصفة التى تميزهم عن سائر الأقوام ؛ إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله اليهود والمشركين وكل أعداء الله ، وكلهم غضب عليه الله ، وكلهم يائس من الآخرة ، لا يعلق بها رجاء ، ولا يحسب لها حسابا كيأس الكفار من الموتى أصحاب القبور لاعتقادهم أن أمرهم انتهى ، وما عاد لهم من بعث ولا حساب .

سورة الصف

يجىء التسبيح من الوجود كله لله العزيز الحكيم فى مطلع السورة التى تعلن للمسلمين أن دينهم هو الحلقة الأخيرة فى دين الله ، وأنهم هم الأمناء على هذا الدين الذى يوحد الله ، وينكر على الكافرين المشركين كفرهم وشركهم والذى يدعوهم للجهاد لنصرته ، وقد قدر الله أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فيوحى هذا المطلع أن الأمانة التى يقوم عليها المسلمون هى أمانة الوجود كله .

ثم يعاتب الله الذين آمنوا عتابا شديداً على أمر حدث من طائفة منهم ، أمر يكرهه الله أشد الكره ، ويمقته أكبر المقت ، ويستفظعه من الذين آمنوا على وجه الخصوص ؛ لأن الكذب ينافى المروءة التى هى من مبادئ الإيمان فضلا عن كماله ، إذ الإيمان الأصلى هو الرجوع إلى الفطرة الأولى ، والدين القيم ، وهى تستلزم أجناس الفضائل بجميع أنواعها ، التى أقل درجاتها العفة المقتضية للمروءة ، والكاذب لا مروءة له ، فلا إيمان له حقيقة ، فالآية تبدأ بعتاب على حادث وقع أو حوادث ، وتثنى باستنكار لهذا الفعل ، وهذا الخلق فى صيغة تضخم استنكار المقت الذى يكبر عند الله ، هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر المنكر ، وهذا غاية فى تفظيع الأمر ، وبخاصة فى ضمير المؤمن ، الذى ينادَى بإيمانه ، والذى يناديه ربه الذى آمن به ، والآية الثالثة تشير إلى الموضوع المباشر الذى قالوا فيه ما لم يفعلوا ، وهو الجهاد ، وتقرر ما يحبه الله فيه ويرضاه ، فليس هو مجرد القتال ولكنه هو القتال فى سبيله، والقتال فى تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف ، والقتال فى ثبات وصمود .

يقول صاحب الظلال : « إن القرآن فى هذا الجزء كان يبنى أمة ، كان يبنيها لتقوم على أمانة دينه فى الأرض ومنهجه فى الحياة ، ونظامه فى الناس ، ولم يكن بد أن يبنى نفوسها أفراداً ويبنيها جماعة ، ويبنيها عملا واقعا ، كلها فى آن واحد ، فالمسلم لا يبنى فرداً إلا فى جماعة ، ولا يتصور